مصاهرات الوسلاتية والحنانشة بمدينة قسنطينة 1800م–1825م.

MATRIMONIAL ALLIANCES OF THE WISLATI AND THE HANNACHi IN CONSTANTINE BETWEEN 1800 AND 1825.

LES ALLIANCES MATRI MONIALES DES WISLATI ET DES HANNACHI A CONSTANTINE DE 1800 A 1830.

سهام بودیبة[1*]، فاطمة الزهراء قشي[2] .

[1] مخبر تاريخ تراث ومجتمع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة 2–عبد الحميد مهري.

[2] مخبر تاريخ تراث ومجتمع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة 2–عبد الحميد مهري.

تاريخ الإرسال: 23 /2018/04 . تاريخ القبول: 2018/06/18 تاريخ النشر: 2018/07/01

ملخص. : تمحور البحث حول مصاهرات مجموعتين من الوافدين على مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق. إنهم الوسلاتية الذين نزحوا من إيالة تونس بعد تهجيرهم من جبل وسلات (1762) من جهة والحنانشة أصيلي قبيلة نفوذية تقع على التخوم الشرقية للبايلك من جهة ثانية. تعتمد الدراسة على معطيات أرشيفية متمثلة في عقود عدلية مدونة في المحاكم الشرعية المالكية والحنفية، في الربع الأول من القرن التاسع عشر. وقع الاختيار على المقارنة بين مصاهرات الوسلاتية والحنانشة نظرا لاختلاف ظروف استقرارهم في المدينة. ومن ثم ماولة استقراء مدى تأثير ظروف التوافد على أساليب الاندماج في مجتمع المدينة عبر الروابط الزوجية. بجرد كامل لعقود الزواج والطلاق الخاصة بالعينة نحاول رسم شبكة هذه المصاهرات. وقد أظهرت الدراسة الانفتاح الواضح في مصاهرات كل من الوسلاتية والحنانشة على المجموعات السكانية الوافدة بالدرجة الأولى، مع تباين الاستراتجيات نحو الفئات الحاكمة في السلطة .

الكلمات المفتاحية : قسنطينة ؛ علاقات مصاهرة ؛ وسلاتية ؛ حنانشة ؛ القرن 19م.

Abstract : This article studies the matrimonial alliances of two groups arrived to the city of Constantine capital of the beylik of the East wich are: the Wislati, who were expelled from mountain Wislat(near Kairouan city) by the bey of Tunis in (1762), and the Hannachi from the influential tribe of Hanancha bordering on the East of beylik. Based on archival data, for instance, Malakit and Hanafit courts records during the first quarter of the nineteenth century, we try to compare the matrimonial relationship of the two groups and their strategies for integration in the city. In spite the difference in conditions of immigration and the way of their settling. This study shows a clear tendency to exogamy marriage, although there were different expressions and explanations for the two groups.

Keywords : Constantine ; the Wislati ; the Hannachi ; matrimonial alliances ; 19e century.

Résumé : cet aticle étudie les alliances matrimoniales de deux groupes de population, habitant à Constantine : Les Wislati, expulsés du mont Wislat, près de Kairouan par le bey de Tunis (en 1762). Ils enregistrent le plus grand nombre d'actes de mariages et semblent former la communauté la plus forte. Les Hannachi, issus des Hnancha, tribu influente et limitrophe de la frontière Est avec la Tunisie. A partir des données d'archives, en l'occurrence d'un dépouillement des actes notariés des registres des mahkama Malikite et Hanafite de 1215 à 1240hg/ 1800-1825 nous tentons de comparer les réseaux des relations matrimoniales. La problématique porte sur les modes d'intégration dans la ville de Constantine à travers les stratégies matrimoniales au regard des conditions d'immigration et d'installation, assez différentes entre les deux groupes. La recherche atteste une tendance manifeste à l'exogamie, même si elle peut s'exprimer et s'expliquer différemment chez Wislati et les Hannachi.

Mots clés : Constantine ; Wislati ; Hannachi ; alliances matrimoniales ; 19e siècle.

*المؤلف المراسل,

مقدمة:

يندرج موضوع المصاهرات ضمن المواضيع الاجتماعية التي تعنى بدراسة علاقات المجتمع في إطارها الضيق والمتمثل في روابط الزواج.وتكمن أهميته في كونه يرسم ملمحا عما ينسجه الأفراد من خلال مصاهراتهم ومجالاتها مما يكشف عن مكانتهم وأهدافهم وقيمهم.

اخترنا دراسة شبكة المصاهرات التي نسجتها المجموعات السكانية الوافدة على قسنطينة والمتميزة بأسمائها والتي حافظت على انتمائها القبلي أو الجغرافي بعد عقود طويلة من الاستقرار في مجتمع حضري. ونكتفي في هذا المقال برصد كل زيجات جماعة الحنانشة وجماعة الوسلاتية – بل الوسالتية حسب التسمية الدارجة في تونس– خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر. فاعتمدنا لذلك سجلات المحاكم الشرعية بقسنطينة مصدرا لعقود الزواج أو الطلاق في نفس الفترة بين1215 و1240 حسب التقويم الهجري، 1800–1825م.

تركز العمل على العائلات التي تحمل نسبة "**الوسلاتي**" الوافدة من جبل وسلات، على مشارف مدينة القيروان التونسية(**بن يوسف، مجلد 2، ص176**) والذي كان منطلقا ومسرحا لصراعات طويلة دارت بين حسين باي تونس(1705–1740م) وابن أخيه علي باشا (1735–1756) حول الحكم ووقوف أهل الجبل مع هذا الأخير وأسرته إلى غاية سنة 1762م، تاريخ استقرار الحكم في يد أبناء عمه حسين بن علي؛ أمر علي باي بن حسين بن علي بإخلاء جبل وسلات ودفع بسكانه إلى الهجرة فرارا من الملاحقة والقمع فكان منهم شتات توزعوا على البلاد التونسية. فمنهم من اختار قسنطينة مستقرا له، وكان المعارضون للسلطة يقيمون بالتراب الجزائري مثل أبناء حسين بن علي ثم أبناء علي باشا – يونس بن علي وابنه إسماعيل بعد هزيمتهم. (**بن عبد العزيز، ج1، ص90**).

أما الوافدون من الحنانشة والذين عرفوا في المدينة بنسبة "**الحناشي**"،فإن أصولهم تعود لقبيلة الحنانشة الواقعة على الحدود الشرقية لبايلك قسنطينة مع تونس، وقد كانت قبيلة ذات نفوذ وقوة فضلا عن ذلك عرفت بولائها المتغير لسلطة بايات قسنطينة وبايات تونس حسب ما يخدم مصالحها،(**معاشي، 2015، ص275**). وتتكون عينة الدراسة من الوافدين من القبيلة والمنضمين لها بالموطن أو التحالف؛ لكونها عبارة عن كنفدرالية قبائل متحدة حول سلطة أحرار الحنانشة الأسرة الحاكمة.(**Babes, 1984, p 245**)

سنحاول في البداية تقدير مدى حضور كل من الحنانشة والوسلاتية في مختلف المعاملات داخل المدينة من حيث عدد العقود المبرمة، ثم نطمح إلى استشفاف مدى تأثير طبيعة توافدهم أو نزوحهم نحو قسنطينة على نوعية العلاقات الاجتماعية وهل حدث اندماج مع الحضر؟

1– مادة البحث وطريقة بناء العينة:

تقوم الدراسة على مصدر أساسي متمثل في سجلات المحاكم الشرعية المالكية والحنفية الخاصة بالربع الأول من القرن التاسع عشر؛ وتشمل الفترة الممتدة بين 1215هـ -1240هـ/1800م-1825م، وهي فترة بحث الدكتوراه الموسومة: "دوائر المصاهرات في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن التاسع عشر من خلال سجلات المحاكم الشرعية".

سنوات الدراسة موزعة على السجل الثالث والرابع التابعين للمحكمة المالكية، وتشمل الفترة بين (1215-1220هـ/1800-1806م)، وجميع سنوات السجل الخامس التابع للمحكمة الحنفية الذي يمتد بين(1224هـ-1232هـ/1809-1817م)، إضافة إلى سنوات السجل السادس التابع أيضا للمحكمة الحنفية وهو تابع للسجل الخامس ومكمل له، ويستهل بتاريخ أوائل محرم 1233هـ/1818م ويمتد إلى أواخر شوال 1240هـ/1825م.

سجل أفراد المجموعتين عقودهم في المحكمتين، وهو حال أغلب سكان قسنطينة في تلك الفترة؛ ذلك أن أغلب المعاملات المدونة فيها هي معاملات زواج وطلاق ومراجعة من طلاق.

بالنسبة لمنهجية البحث فإنها تقوم على رصد شامل للعقود مع فصل العينات حسب الانتماء قصد المقارنة -في هذا المقال- بين الحنانشة والوسالتية، أي بين وافدين من داخل البايلك ولو على أطرافه، في مناسبات متفرقة وغالبا فردية أو عائلية، وبين نزوح جماعي وقسري تم على الأرجح في فترة قصيرة ومتأخرة، بداية من 1756 تاريخ عودة أبناء حسين بن علي إلى الحكم في تونس وخاصة بعد 1762 تاريخ إخلاء جبل وسلات من سكانه(عبد الواحد المكني، شتات أهل وسلات، د. ت). وتسمح لنا مدة ربع قرن من تتبع المصاهرات على مدى جيلين، خاصة إذا انطلقنا من نتائج رسالة دكتوراه الدولة التي عالجت موضوع " قسنطينة المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر،(قشي،1998).

جاء اختيارنا للمجموعتين كعينة للدراسة بناء على اعتبارات عدة: أهمها اشتراكهما في صفة التوافد والاستقرار في المدنية، مع اختلاف الظروف والأسباب؛ ذلك أن الوسالتية هُجروا من موطنهم مكرهين كما أشرنا، في حين قدم الحنانشة طواعية إلى مدينة قسنطينة، عاصمة البايلك التابعين له، التي كانت قطبا سياسيا مرموقا ومركزا اقتصاديا نشطا يجذب السكان على نطاق واسع.

يظهر الجرد الأولي والعام للعقود أن الوسالتية هم المجموعة الأكبر عددا والأكثر حضورا في السجلات؛ وقد فاقت عقود رجال ونساء الحنانشة مجتمعين؛ وقد مثلت نسبة الرجال73%من إجمالي العقود الخاصة بالوسالتية؛ إلا أن تتبع الأسماء المسجلة فيها يبين حضور بعض أفراد عائلة الوسلاتي في أكثر من مرة. وهناك من أفراد المجموعة من سجلت له ستة عقود وهي تخص **أحمد بن عبد الله الوسلاتي** بين 1215-1236هـ/ 1800- 1821م، متمثلة في عقدي طلاق وأربعة عقود زواج. وهو ينتمي حسب تعبير الأستاذة قشي إلى فئة المزواجين، الكثيري التردد على المحكمة.

كما ظهر **مُحَمَّد بن أحمد الوسلاتي** و**مُحَمَّد بن عمر الوسلاتي** في خمسة عقود لكل واحد منهما، ومُحَمَّد بن علي الوسلاتي في أربعة عقود، وتم جرد عقدين لـ 13فردا من المجموعة وهو ما يمكن تفسيره بتردد بعض الرجال على المحكمة أكثر من غيرهم في تكرار زواج أو طلاق وفي ذلك إشارة إلى الاستقرار الطويل أو الدائم لهم بالمدينة. في حين ظهرت 7نساء من بنات الوسلاتي بعقدين لكل واحدة منهن حسب تكرار أسمائهن مع تسجيل نفس النسبة للأب والموطن. إنالحضور الكثيف للرجال مقابل حضور النساء يمكن أن يفسر بطبيعة الوفود في شكل هجرة مفروضة والتي قد تمس في هذه الظروف الرجال أكثر من النساء (قشي، 2007، ص26-27).

جدول -1- معاملات الوسالتية و الحنانشة (1215هـ -1240هـ/1800م-1825م)

مستوى حضور الوسالتية			مستوى حضور الحنانشة		
رجال	نساء	نوع العقود و عددها	رجال	نساء	نوع العقود
104	37	- زواج 83 - طلاق43 - مراجعة من الطلقة الأولى 10 - مراجعة من الطلقة الثانية 04 -هبة كالي الصداق 01	42	41	- زواج 56 - طلاق20 - مراجعة من الطلقة الأولى06 - مراجعة من الطلقة الثانية01

المصدر: سجلات المحاكم الشرعية المالكية والحنفية، مدينة قسنطينة

إن تتبع الحضور الفردي للحنانشة يظهر قلة العقود المتكررة؛ بتسجيل حالتين الأولى تخص **عمار بن الطيب الحناشي** الذي ظهر في عقدين في الفترة بين 1239-1240هـ/1824-1825م وهما عقدا زواج ومراجعة من الطلقة الأولى لزوجه علجية بنت عبد الله، والحالة الثانية تخص **عثمان بن مُحَمَّد الحناشي** وهما عقدا مراجعة من الطلقة الأولى والطلقة الثانية لزوجته فاطمة بنت رابح الطلحي سنوات 1218-1220هـ/ 1803-1805م، في مقابل ذلك تم جرد عقدين لثلاث نساء من بنات الحناشي، وثلاث عقود **لنمرودة بنت عمار الحناشي** لوحدها، أي أن العقود خصت 36 امرأة من

قبيلة الحنانشة، وهو ما يمكن تفسيره بالوفود المؤقت لأغلب الوافدين من الحنانشة لمصالح فردية، ثم أن تقارب معدل حضور النساء والرجال يشير إلى استقرار بعض عائلات **الحنانشي** بالمدينة.

بناء على ما ذكر، وإذا قارنا بين مستوى حضور المجموعتين يلاحظ تأثير طريقة التوافد على المدينة على معدل الحضور الفردي ثم الجماعي لهما في السجلات. فالواضح من خلال عقود الوسالتية استقرارهم الدائم في المدينة من خلال تواتر تسجيل عقود عديدة للفرد الواحد بحضوره في المحكمتين بعقود زواج وطلاق ومراجعة. قد يكمن الفرق بين الوسالتية والحنانشة في الاختلاف حول مدى التردد على المحكمة وتسجيل كل مراحل الحياة الزوجية بانتظام كما يظهر عند الوسالتية وبصفة أقل عند الحنانشة. هل يعني هذا أن تكرار الزواج قليل لدى عائلات الحناشي، أم بقي الاتصال بالموطن الأ□لي قويا، فلا تظهر كل المعاملات في سجلات المدينة؟

منهجيا، إن تسجيل عدة عقود للفرد الواحد لدى الوسالتية يساعد على دراسة توجهات المصاهرة على المستوى الفردي قياسا مع التوجهات العامة للجماعة، بينما تسمح لنا طبيعة العقود الخا□ة بالحنانشة بدراسة المجال العام لمصاهراتهم.

2- دراسة في مصاهرات الوسالتية والحنانشة:

2-1 مصاهرات الوسالتية:

تنطلق دراستنا لمجال المصاهرات إذن مما توفر من عقود تخص رجال ونساء كل مجموعة وذلك لقياس نسبة "الزواج من القبيل"أي بين أبناء العرش فضلا عن متابعة مدى انفتاح وانغلاق شبكة المصاهرات لدى رجال ونساء كل مجموعة على حدى؛ وذلك بالنظر إلى شبكة مصاهراتهم في أواخر القرن الثامن عشر كما أشرنا. (**قشي، 2007، ص137**).

ظهر رجال الوسلاتي في104 عقدا تخص الزواج والطلاق والمراجعة من طلاق ضمن عدد إجمالي من عقود الزواج بلغ 7662 وعقود طلاق بلغت 3689عقدا، أما عقود المراجعة فقدرت بـ1455عقدا وذلك خلال الفترة الممتدة بين 1800 و1825م.

فكانت 56%من زيجاتهم مع عائلات وافدة من قبائل مختلفة تابعة للبايلك، منها مناطق حدودية مع تونس مثل الصدراتي والبقلمامي والعيفاوي نسبة لأعراش □دراتة وأولاد بوعافية وأولاد بوقلمام(**أرشيف تونس،حافظة213، وثيقة132**). أما الحركاتي واليعقوبي فمن الأوراس، وأخرى من شمال البايلك وهي الفغالي والمجالدي، كما نسجوا أكثر من علاقة مصاهرة مع عائلات الرحموني، العشي، الغربي، المعاوي، النمديلي، العمري والحشمي بثلاث عقود مع كل واحدة منها؛ وإن تكرار الزواج من نفس القبيلة أو العرش على فترات مختلفة يمكن أن يشير إلى توطيد الوسالتية لعلاقاتهم مع بعض الوافدين من العائلات والقبائل. تزوج رجال الوسلاتي أيضا من بنات عائلات وافدة من خارج البايلك منها مدينة مليانة التابعة لبايلك الغرب والمجاورة لبايلك التيطري أيضا (بوغفالة، 2009، ص16).

وبحكم الأ□ول التونسية للوسلاتية، بحثنا في مصاهراتهم مع عائلات وافدة من تونس، فكانت النتيجة أنه توجه ضعيف؛ تم عقد مصاهرة وحيدة مع الدريدي وهم من أ□ول قبيلة دريد التونسية التي شهدت أيضا هجرة ونزوحا حيث استقر جزء منها في تونس والجزء الآخر استوطن نواحي قسنطينة في بحيرة دريد التي سميت باسمهم، وجزء ثالث انقسم إلى قبائل بدوية عاشت في بسكرة وواحة الزيبان،(**Carette , 1824, p .424**)؛وذلك بعد هزيمتهم أمام حملة الباي حمودة باشا- الذي حكم تونس بين 1196-1229هـ/1780-1814م- وقد شاركوا فيها إلى جانبه سنة 1222هـ/1807م حيث احتوت عليهم محلة قسنطينة وأسكنتهم البحيرة المذكورة، (**ابن أبي الضياف، 1999، ص42**). وجاءت الحملة كرد فعل تونس على ضغوطات وتدخلات حكام إيالة الجزائر في شؤونها الداخلية(**ابن العطار، 2011، ص115**)؛ وذلك ما قد يفسر الحضور المميز لدريد في العقود التي مسها الجرد بأكثر من 95عقدا لرجال ونساء القبيلة في الفترة المدروسة.

كما ارتبط علي بن عمر الوسلاتي بأمة الله فاطمة بنت الحاج مسعود التونسي، (**السجل الثالث، 1217هـ، ص465**) قد يكون الانفتاح الضعيف للوسالتيةعلى الوافدين من تونس يعود إلى الخلاف السابق بين أهل الحاضرة وسكان جبل وسلات وانقسام البلاد إلى □فين كما سبق.

إذا كانت مصاهرات رجال الوسلاتي منفتحة أساسا على المحيط القبلي فإنها لم تتوقف عنده بل امتدت إلى الزواج من بنات العائلات الحرفية وذلك في خمسة عقود. فظهر الكبابجي،الحمّار، والحفّاف الذي جمع في حرفته بين حلق شعر الذقن والرأس وممارسة الحجامة وقلع الأضراس(**Feraud, 1872, p453**)؛ وكذا الشطاب وهي من الحرف القليلة الذكر في العقود والتي قد تعني حسب الموروث اللفظي المحلي الشخص الذي يقوم بعملية تنظيف الشوارع. وقد وردت هذه الحرف كنسبة وليس كحرفة التي يعلن عنها □راحة في العقد؛ والحال أن تبني النسبة الحرفية لقبا بديلا عن النسب القبلي أو الانتماء الجغرافي مؤشر على الاستقرار والاندماج في الوسط الحضري، بدا جليا في القرن التاسع عشر.(**قشي، 1998،ص202**).

إن زواج علي بن سارسة الوسلاتي من أمة الله تركية الإسلامية الثيب المالكة أمر نفسها(**السجل السادس،1240هـ، ص 501**)يطرح مسألة الزواج من بنات أهل الذمة بعد اعتناقهن للإسلام، وهذا ما ظهر في عديد العقود بالمحكمتين.(**قشي، 2007، ص174**)..

كما ارتبط الوسالتية أيضا بعتيقات، فقد تزوج أحمد الوسلاتي الجزار حرفة بمباركة بنت عبد الله عتيقة الحاج سليمان بن مُحَمَّد، وقد زوجها منه معتقها المذكور،(**السجل الثالث، 1215هـ، ص 314**). إن زواج الأحرار من الإماء والعتيقات ظاهرة موجودة في مجتمعات تلك الفترة، وكانت عامة لم تخضع لمستوى ومكانة الأزواج الاجتماعية،(**طوبال، 2013-**

2014، ص66). لذلك قد يعبر زواج أحمد الوسلاتي بعتيقة بانتشار الظاهرة في المدينة، أو لوجود علاقة بينه وبين سيد العتيقة الذي كان وكيلا لها في زواجها؛ خاصة أن الرجل لا يعيبه الزواج ممن دونه مرتبة.

فالملاحظ في مصاهرات رجال **الوسلاتي** هو الانفتاح الواضح على عناصر مختلفة من المجتمع القسنطيني؛ فهل اتبع الوسالتية نفس الشبكة في تزويج بناتهم؟

مكننا الجرد من تسجيل 37عقد زواج وطلاق ومراجعة لبنات **الوسلاتي**؛ وبدا مجال مصاهرتهن أكثر انفتاحا من حيث الانتماء الاجتماعي للعناصر التي تاهروها، فقد زُوجن لعائلات وافدة من خارج إيالة الجزائر حسب النسبة، مع المراكشي والمغربي وهما عائلتان تنتسبان إلى المغرب الأقصى.

ومصاهرة مع التونسي، كذلك عائلات وافدة من قبائل البايلك منها العواطي والطلحي، الصولي والجنحي فضلا عن وافدين من زمورة وعنابة، أي أن أنها مصاهرات ضمن دائرة جغرافية امتدت من أقصى غرب الإيالة إلى أقصى شرقها، إضافة إلى قبائل وأوطان ممتدة على أراضي البايلك شمالا وجنوبا.

إلى جانب ذلك زوج الوسالتية بناتهم إلى موظفين إنكشارية في أربعة عقود، وحرفيين في خمسة عقود، مع كل من السراج الذي يحترف صناعة الأدوات الجلدية كالسروج وأكياس الذخيرة، وكانت من بين الحرف التي مارستها عائلات قسنطينة على اختلاف مكانتها(**Kaddache, 1992, p 212**). كما حضرت حرف السوقي والكبابجي والنجار والحمار وهي نفسها تقريبا المسجلة في زيجات الرجال ومن نفس المستوى الاجتماعي.

إن إقدام الوسالتية في ربط علاقات زواج مع عناصر متنوعة الانتماءات الاجتماعية، والحرف والوظائف، يطرح السؤال حول الزواج داخل جماعة الوسالتية وبين أفرادها؛ فما عدد عقود الزواج المسجلة بين أفراد الجماعة وما هي نسبتها؟

تم جرد 14عقدا يخص زواج وطلاق ومراجعة لرجال **الوسلاتي** مع نساء من قبيلهم أي أن الزوجة من نفس نسب الزوج. بالإضافة إلى 5عقود ذكرت فيها نسبة **الوسلاتي** للزوج والزوجة على حد سواء بمجموع 19عقدا أي ما نسبته 18%؛ وهو عدد معبر عن وجود ترابط داخل العائلة وقد يدخل في إطار إستراتيجية الجماعة في الحفاظ على تماسكها ووحدتها، خاصة وهي بعيدة عن الموطن الأصلي مع أمل قليل في العودة.

من جهة أخرى أردنا تتبع مسار المصاهرات على مدى جيلين وفي نطاق ضيق أي ضمن العائلة الواحدة وذلك اعتمادا على البنوة المعلنة في التسمية الثلاثية، مع مراعاة التقارب الزمني في تسجيل العقود لتكون العينة أكثر مصداقية، فأخذنا على سبيل المثال لا الحصر المنتسبين بالبنوة إلى **مُحَمَّد الوسلاتي**: تم تسجيل تسعة عقود لأبنائه فيما بين 1217هـ و 1233هـ /1802- 1818م، وكانت تعني كل من **حمودة وحمادي وحسن وسالم وعمر ومُحَمَّد**، مع احتمال أن يكون اسم مُحَمَّد الوسلاتي اسم مكرر وليس نفس الشخص، وأحسن دليل فيما يلي من الأمثلة، ولكن إذا كان له الأبناء الستة المذكورين، يمكن استنتاج ما يلي:

توزعت دوائر مصاهراتهم مع عائلات قبلية وهي العيساني والجنحي، كما ظهر جليا التوجه نحو الزواج داخل العائلة بأربع عقود، فقد قام **سالم بن مُحَّد** الوسلاتي بتطليق عائشة بنت عبد الرحمن نجل السيد أحمد بن بلعيد طلقة أولى بعد البناء،(**السجل الرابع، 1220هـ، ص 115**)؛ كما طلق تركية **بنت مُحَّد** من القبيل أي أنها وسلاتية طلقة ثانية بعد البناء(**السجل الرابع، 1220هـ، ص168**)، وذلك في أقل من سبعة أشهر حيث سلّمت كل منهما "فيما لها عليه من الصداق"، وطالبت الأولى بدين لها عليه قدره 20ريالا. أما الزوجة الثانية فقد سلمت له في مبلغ الدين مع الصداق دون تحديد قدره، ولم تُدون له عقودا أخرى، وهذا ما يشير إلى أنه جمع بين زوجتين أو أكثر وطلق اثنتين في نفس السنة.كما يحتمل أنه قد تزوج بعد تطليق زوجتيه وهذا مؤشر على سرعة الزواج والطلاق.

كما ارتبط أخوه بلقاسم بن مُحَّد الوسلاتي مرتين في الفترة الممتدة بين1221و1224هـ/1804م–1809م، جمعه العقد الأول بعايشة بنت موسى الجنحي،(**السجل الرابع، 1219هـ، ص74**)و العقد الثاني ارتبط فيه بساسية بنت المرحوم رمضان الوسلاتي،(**السجل الخامس، 1224هـ، ص50**)؛ وكانت الزوجة الأولى ثيبا مطلقة أما الثانية فكانت بكرا بالغا مهملة، وقد شرطت عليه هذه الأخيرة أن لا يرد مطلقته خديجة بنت بودهمش وإلا فأمرها بيدها.وهنا يحتمل أنه جمع بين الزوجتين عايشة وساسية أو أنه قام بتطليق عايشة، كما شرطت عليه زوجته التي هي من قبيله أن لا يرد خديجة بنت بودهمش التي قد تكون مطلقة طلاقا رجعيا.وعليه يرجح أن يكون بلقاسم المذكور قد سجل ثلاثة زيجات وطلقة على الأقل.

تزوج عمر بن مُحَّد الوسلاتي بأمة الله حليمة بنت عمر من القبيل وكانت ثيبا مطلقة منقضية العدة(**السجل الخامس، 1225هـ، ص144**)؛ في حين راجع مُحَّد بن مُحَّد الوسلاتي فاطمة بنت حاج بلقاسم من القبيل من الطلقة الثانية (**السجل السادس، 1233هـ، ص7**).

إن الإقبال على الزواج داخل المجموعة قد يفسر بدافع الترابط العصبي بين عائلات الوسالتية التي واجهت وعانت من الاضطهاد قبل الهجرة إلى مدينة قسنطينة. لكن هذا المنحى لايضمن الاستقرار المنشود على مستوى العلاقات الزوجية؛ ذلك أن تلك المصاهرات شهدت توترات بلغت حد الانفصال. لقد تم تدوين ستة عقود طلاق، وعقدي مراجعة من الطلقة الأولى ومراجعة من الطلقة الثانية؛ وهذا ما يكشف هشاشة العلاقات الزوجية ولو "من القبيل".

سمحت لنا دراسة دوائر مصاهرات الوسالتية بملاحظة انفتاحهم على المحيط القبلي أساسا، مع توجه واضح نحو الزواج داخل العائلة في نسبة معقولة تفوق نسبة المجتمع القسنطيني إجمالا. فهل أثر انتماء جماعة **الحناشي** لقبيلة نفوذية على انتقائهم للعائلات التي اهروها؟

2 – 2 مصاهرات الحنانشة

إن أول ما يلاحظ عند دراسة زيجات الحنانشة هو مستوى الحضور العددي المتقارب بين رجال ونساء القبيلة في عقود الزواج المسجلة في المدينة. فقد تم جرد 42 عقدا تخص رجال الحنانشة، وتركزت مجالات المصاهرة لديهم أساسا ضمن المحيط القبلي مع عائلات القرفي، الطلحي، العباسي، العشي، العلوي، الحبيباتني والصالحي، إضافة إلى الدريدي.

قد يكون لمدة الإقامة بالمدينة دور في توجيه المصاهرات لكن ليس لدينا ما يفيدنا في قياس تاريخ أول استقرار لهذه العائلات؛ إنما قد نقرأ في شروط الزواج مؤشراً على استمرار العلاقة بين قاطني المدينة الجدد ومَواطنهم الأ□لية، موظفين كانوا أم حرفيين أو تجار.

إنها عادات بعض العائلات الحضرية رفض ذهاب بناتها للعيش في الريف بعد زواجهن في المدينة، فكانت تشترط"عدم الخروج من بلد العقد" وهذا ما حدث في بعض الحالات. من ذلك عقد مراجعة أحمد بن □الح الحناشي لزوجته ابراهمة بنت إبراهيم من الطلقة الأولى والتي شرطت عليه أن "لا يخرجها من بلد العقد إلا برضاها فإن أخرجها فأمرها بيدها ما عدى في فصل الربيع"؛(**س5، 1225هـ، ص.90**). وهو ما قد يشير إلى إمكانية حدوث الطلاق الأول بسبب نقل الزوجة، ويبدو أن الترضية وقعت بينهما بحل وسط وهو الانتقال لنجع الحنانشة خلال فصل واحد في السنة.

من جهة أخرى، يسجل أن الحنانشة زوجوا بناتهم ضمن دائرة اجتماعية أوسع من دائرة الرجال. بعبارة أخرى وجدت بنات الحنانشة فر□ا أوسع في الزواج. بالإضافة إلى مصاهرة عائلات وافدة من قبائل البايلك مثل التلغمتي والحمزواي و القرفي والغربي والعلوي والزياني؛ تزوجت بنات الحناشي من عنا□ر إنكشارية في أربع عقود. وفي حالتين اثنتين، تقدم إلى العائلة كل من دايرة وشاوش. وهذا تقرب من موظفي البايلك وحاشية البايات نحو الحنانشة.

كما يتضح هذا المنحى بارتباط أمة الله خديجة بنت الحاج سعيد الحناشي بمحمد بن حسين الذي كان □هرا لصالح باي- كما ورد في نص العقد- وكانت ثيبا متوفى عنها أ□دقها 100ريالمع الحزام و القفطان والجوهر والأمة. (**السجل السادس، 1240هـ، ص488**).

تبنى الوافدون من قبيلة الحنانشة علاقات الزواج داخل العرش أيضا ومنها الزواج من ابنة العم وإن كان أقل حضورا مما شوهد بين الوسالتية وذلك لاختلاف معدلات الحضور بينهما في السجلات بين الرجال والنساء، حيث ارتبط مُحَّد بن عبد الرحمن **الحناشي** بخديجة بنت سي عباس **من القبيل**، وكانت ثيبا منقضية العدة وهي ابنة عمه حسب ما ذكر في العقد؛ وقد تكفل الزوج باختيار وكيلها على الزواج السيد مسعود بن العموشي. (**السجل الثالث، 1215هـ، ص271**).

كما تزوج مبارك بن عبد الله **الحناشي** بالعباسية بنت دعاس **من القبيل** وكانت ثيبا متوفى عنها منقضية العدة، وقد شهد على وفاة بعلها الأول أفراد من قبيلة الحنانشة،(**السجل الثالث، 1217هـ، ص446**)؛ في حين ارتبط □الح بن عمر **الحناشي** بللونة بنت علي **من القبيل** وهي بكر بالغ مهملة.(**السجل الرابع، 1219هـ، ص 37**).

إن زواج كل من الوسالتية والحنانشة من ابنة العرش أو "من القبيل" كما ورد في العقود، يمكن تفسيره بعوامل عديدة منها ما يتعلق بتقوية الروابط العائلية داخل المدينة، فضلا عن طبيعة الانتماءات الاجتماعية لهذه المجموعات ذات الانتماء الريفي والقبلي، والتي عرفت بميلها لهذا النوع من الزواج، "في إطار تدعيم العصبية القبلية،الحفاظ على رابطة الدم الواحد، والحفاظ على الملكية الجماعية" حسب شلهود(**Chelhod, 1965, p .115**) .

من جهة أخرى لم تبرز أي مصاهرة بين الوسالتية والحنانشة، وقد يعود ذلك إلى الصدفة أولا لأن الخيار واسع بين العائلات القاطنة في المدينة؛ وقد يفسر ثانيا بابتعاد الوسالتية عن قبيلة كانت طرفا في الصراعات الماضية مع أو ضد بايات تونس أو قسنطينة، مع تغير ولائها حسب الظروف.

3– مبدأ الكفاءة في زواج الوسالتية والحنانشة

تعني الكفاءة في اللغة المساواة، والمراد بها في النكاح المساواة بين الزوجين في أمور مخصوصة يعتبر الإخلال بها مفسدا للحياة الزوجية؛ ومن أهم معاييرها النسب أو المنبت والإسلام والحرية والحرفة(**أبو زهرة، 1971م، ص 61**)أي المستوى المادي والاجتماعي للزوجين. والملاحظ في المجتمعات العربية والإسلامية أنها تشترط الكفاءة في الرجل أكثر مما تشترطها في المرأة، كما أن معاييرها تختلف باختلاف المجتمعات وتكوينها الاجتماعي، (**الترمانيني، 1409هـ/1989م، ص135**)كذلك حسب المذاهب الإسلامية المتبعة.فإذا أخذنا برأي المالكية وهو المذهب السائد لدى مجتمع الدراسة، فإنه لم يركز على الكفاءة في النسب ولا في الصناعة أو المال أو الغنى بقدر تركيزه على الكفاءة في التدين والتقوى والسلامة من العيوب، في حين يشترط الحنفية النسب والإسلام والحرية والديانة والمال والحرفة، وهو أوسع المذاهب الأربعة فيما يخص مسألة الكفاءة في الزواج(**أبو زهرة، 1950م، ص90**).

إن مادة العقود بما تضمنته من معطيات لا تعبر بوضوح عن المعايير المعتمدة في اختيار الأزواج، وما يمكن الاستفادة منه من خلال معطياتها هو معيار المماثلة في الحال عند الممارسة؛ أي أن دراسة مدى تطبيق معيار الكفاءة لدى المجموعتين في هذه الحالة يكون من خلال النسب أو الانتماء العائلي والاجتماعي وهو عنصر غير دقيق وغير كاف رغم محاولة توظيف المبالغ النقدية والعينية المكونة للصداق والتي تسمح بمعرفة الحالة المادية للعائلات بصفة تقريبية.

إن تتبع معيار النسب في زواج الوسالتية يبين تركز مصاهرات رجال العائلة على قبائل البايلك الوافدة على المدينة أساسا؛ كما تزوجوا من بعض العتيقات. في مقابل ذلك زوج الوسالتية بناتهم من موظفين عسكريين وأحباب حرف لها وزن اقتصادي خلال فترة الدراسة مثل السراج والنجار والحاكي.

بالنسبة إلى الحنانشة، فالملاحظ على رجالها أنهم فضلوا الدائرة القبلية أساسا، في حين عرف المجال الذي تزوجت فيه نسائهم انفتاحا أكبر، وإن سادت المصاهرات بين القبائل الوافدة فإنها انفتحت أيضا على عائلات يمكن القول أنها مدينية أو حضريةبالمهنة مثل أنهار البايات وموظفي البايلك السابق ذكرهم، وسجل عقد وحيد مع تاجر "حرفة".

إن المقارنة بين دوائر الزواج بين رجال ونساء المجموعتين، سواء ما تعلق بالانتماءات الجغرافية أو الوظيفية والحرفية للعائلات التي □اهروها، تظهر بعض التمايز لصالح النساء. وقد يُفسر بتوجه رجال العائلتين للزواج من عائلات تماثلهم أو دونهم جاها ومكانة وذلك حسب ما توفر أمامهم من فرص، في حين تم اشتراط معيار النسب والحرفة في زواج النساء من قبل بعض عائلات المجموعتين.

بتتبع متوسط الصداق النقدي المدفوع على مدى جيلين تقريبا، امتدت الفترة الأولى بين 1215هـ-1227هـ، تراوح الصداق فيها بين30ريالا و 100ريال، ولم يختلف كثيرا في الفترة اللاحقة والممتدة بين 1228هـ-1240هـ مع ارتفاع طفيف إذ تراوح بين 80ريالا و100ريال.

تشكلت المكونات العينية للصداق أو ملحقات الصداق من الملحفة والقمجة وهي موجودة في أغلب المهور المسجلة؛ ثم يأتي الحزام والقفطان في مرتبة ثانية، يليهما الجوهر والأمة من نصيب العائلات ذات الجاه والثروة غالبا، وهي نادرة لا تعني سوى شريحة لا تفوق نسبتها 4% من مجمل زيجات الفترة المدروسة (1787-1795). (**قشي، 2007، ص39**). والحال أن تركيبة الصداق نمطية ولم تتغير كثيرا في الفترة اللاحقة موضوع هذا المقال.

قدم رجال الوسلاتي □داقا قدر معدله ب 60ريالا مع الملحفة والقمجة فقط كملحقات عينية، أي أنهم أكتفوا بما هو شائع وبسيط ضمن المطالب، في مقابل ذلك قبضت نساء الوسلاتي □داقا قدر معدله ب77ريالا؛ أما ملحقات الصداق فقد ذكرت الملحفة والقمجة في العديد من العقود، وأضيف الحزام والقفطان في ثلاثة عقود، كما ظهرت الأمَة في عقد وحيد يخص أمة الله عايشة بنت السيد مُحَّد بن **الوسلاتي** البكر المجبرة عند زواجها بفرج بن علي الإنجشايري والذي أ□دها 100ريال مع القمجة والملحفة والحزام والقفطان والأمة ولم ينقد لها منه سوى 40ريالا والباقي بذمته(**السجل الخامس، 1224هـ، ص59**). ويعني إجمالا انحسار قيم الصداق التي دفعتها عائلات الوسلاتي أو التي قبضتها في زواج بناتها ضمن المتوسط العام للمهور المدفوعة مع استثناء وحيد.

بالنسبة لمتوسط الصداق في زيجات الحنانشة يلاحظ أنها متقاربة بينما دفعه رجال **الحناشي** وما قبضته نسائهم؛ إذ كان متوسط المهور التي دفعها الرجال 75 ريالا ومعدل مهور النساء 74ريالا.استقر متوسط المهور الذي دفعه الرجال مقارنة بما سجل لهم قبل حوالي عقدين من الزمن والذي قدر ب72 ريالا،لكن مهور النساء ارتفعت بصفة ملحوظة وقد كان معدله 52 ريالا فقط في أواخر القرن الثامن عشر(**قشي، 2007، ص160**). وقد يفسر هذا الارتقاء الاجتماعي بتحكم الحنانشة في شبكة المصاهرات بعد إقامة طويلة في قسنطينة. فيما يخص ملحقات الصداق، لم يرد الحزام والقفطان والأمة إلا مرة واحدة؛ وهذه إشارة إلى التفاوت الاجتماعي داخل القبيلة بل داخل العائلة الواحدة أحيانا. أما زيادة قيمة المهور، إجمالا، مع استقرار مكونات الصداق طوال الفترة المدروسة، فيكمن تفسيره أساساً في الحركية الاقتصادية والتجارية،

فضلا عن تحول قيمة الريال العملة الأساسية المتداولة في البلاد، خا□ة في الفترة بين 1815م–1830م،(**مروش، 2009، ص59**)وهي فترة اضطراب واختلال التوازنات.

خاتمة :

أظهرت دراسة شبكة المصاهرات لدى الوسالتية والحنانشة في مدينة قسنطينة في الربع الأول من القرن التاسع عشر، تركيز العنا□ر الوافدة على الزواج من عائلات لها نفس المستوى الاجتماعي ومع الوافدين أساساً، ذلك أن العائلات الحضرية ترى، في الغالب أن الوافد أو كما يسمي"البراني" فيه من الصفات والعادات ما لا يتناسب مع طبيعة الحضري(**سعد الله، مارس1988، ص389**). لهذا لا يحظ الوافدون في الغالب إلا بفر□ة مصاهرة وافدين أمثالهم. كما سُجل انفتاح مجال المصاهرات لدى المجموعتين على عنا□ر مختلفة الانتماءات الجغرافية، إضافة إلى حرفيين وموظفين. تقرب الموظفون وأ□هار البايات من الحنانشة– ربما لمكانتهم– فوجدت بناتهم إقبالا أكبر بمهور أرفع مما نالوها في العقود السابقة. ورغم تباين سبب الهجرة إلى قسنطينة وظروفها بين المجموعتين، يمكن ملاحظة الاندماج التدريجي والسلس ضمن الفئات الواسعة الحضور بالمدينة. وما استنتج حول مصاهرات الوسالتية والحنانشة هو جزء من بحث أكاديمي – قيد الإنجاز– يشمل جميع الزيجات المسجلة في نفس الفترة بمدينة قسنطينة.

قائمة المراجع:

1. **أرشيف قسنطينة: سجلات المحكمة المالكية: السجل الثالث والسجل الرابع، سجلات المحكمة الحنفية:السجل الخامس والسجل السادس.**

2. الأرشيف التونسي، الحافظة 223،الملف384، وثيقة132، عروش من عمالة قسنطينة.
3. الترمانيني عبد السلام، (1409هـ/1989م)، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام دراسة مقارنة في مجال التاريخ والأدب والشريعة، الطبعة الثانية، سوريا: دار القلم العربي.
4. أبو بزهرة مُحَمَّد، (1950)، الأحوال الشخصية، القاهرة: دار الفكر العربي.
5. أبو زهرة مُحَمَّد، (1971)، ماضرات في عقد الزواج وآثاره، القاهرة: دار الفكر العربي.
6. ابن أبي الضياف، (1999)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، المجلد الثاني، الجزء الثالث، تونس: الدار العربية للكتاب.
7. ابن العطار أحمد بن المبارك، (2011)، تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله حمادي، قسنطينة: المطبعة الجديدة.
8. بن عبد العزيز حمودة بن مُحَمَّد، (1970)، الكتاب الباشي، تحقيق الشيخ مُحَمَّد ماضوي، الجزء الأول، قسم السيرة، تونس: الدار التونسية للنشر.
9. بن يوسف الصغير(2009)، المشرع الملكي في سلطة أولاد علي تركي، تقديم وتحقيق أحمد الطويلي، مجلد2، تونس: المطبعة العصرية.
10. بوغفالة ودان، (1430هـ/2009م) التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمدينتي المدية وملیانة في العهد العثماني، سيدي بلعباس: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر.
11. طوبال نجوى، (2013–2014)، الزواج وواقع المصاهرات بمجتمع مدينة الجزائر– الفترة العثمانية– 1122–1246هـ/1710–1830م، رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر02.
12. سعد الله أبو القاسم، (مارس 1988)، "مجتمع قسنطينة من خلال كتاب منشور الهداية (11هـ/17م)"، ضمن كتاب: الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية للتوثيق والمعلومات، زغوان، ص. ص385 .401
13. قشي، فاطمة الزهراء قسنطينة، (1998) المدينة والمجتمع في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (من أواخر القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر)، دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى.

14. قشي، فاطمة الزهراء، (2005) "التركيبة السكانية لقسنطينة الأسماء والأنساب هوية وانتماء"، تنسيق فريد بن رمضان وإبراهيم عتوي، مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، ص.ص05 .56

15. قشي فاطمة الزهراء، (2007)، الزواج والأسرة في قسنطينة في القرن18، الجزائر: دار القصبة للنشر.

16. مروش لمنور، (2009)، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة الأسعار والمداخيل، الجزء الأول، الجزائر: دار القصبة للنشر.

17. معاشي، جميلة، (2015) الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري(من القرن 10هـ(16م)إلى 13هـ(19م)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

18. مكني عبد الواحد، شتات أهل وسلات من 1762 حتى بداية القرن العشرين، سلسلة من تاريخ الأقليات التونسية، دار سحر للنشر، دون تاريخ.

19. Babes Leila(1984), Mythes d'origine et structures tribales dans le Constantinois sous domination turque, Essai sur le fondement du pouvoir politique, Thèse pour le Doctorat de 3e cycle, Aix-en-Provence, 1984.
20. Carette(E), Origine et migrations des principales tribus de l'Algérie,imprimerie impériale,Paris, 1842.

21. Féraud, Charles, « Corporations de métiers à Constantine avant la conquête française », in Revue Africaine, 1872.
22. -Chelhod, Joseph, « Le mariage avec la cousine parallèle dans le système arabe », l'Homme, Revue Française d'Anthropologie,Juillet – Décembre 1965.
23. Kaddache, Mahfoud, l'Algérie durant la période Ottomane, office des publications universitaires, Alger, 1992.